حقيبة سفر

يقضي يومه بين النوم والسهر في البيت أمام حاسوبه وهاتفه. أو يخرج ليجلس مع أصدقائه على أحد الكافيهات القريبة من البيت.

فبعد عامين من تخرجه من الكلية، ولم يجد عملًا يناسبه رغم توافر الكثير من فرص العمل. ولكنه صار يتجاهل تلك الفرص بعد أن عمل في أكثر من مكان، ولم يجد التقدير الذي يستحقه.

بعد تفكير قرر أن يسافر للعمل في أحد فنادق شرم الشيخ. وحتى يستعد لتلك الخطوة، أخذ كورس إنجليزي؛ لينمي مستواه في اللغة. وبعد انتهائه، تواصل عبر البريد الإلكتروني مع فندق شهير، وأرسل سيرته الذاتية. تم الرد عليه بالقدوم لعمل مقابلة مع مسئولي التوظيف بالفندق. سعد جدًا لهذا الخبر. وبدأ يجهز نفسه للسفر.

اسمه سعيد وحياته ليست سعيدة كما ينبغي. ولكنه يحمد الله دومًا على كل نِعمة وهبه الله إياها. جلس مع أهله وأخبرهم بسفره. وافقوا

بعـد إلحاحـه حيث يـرون أن شرم الشـيخ تفصلـه بينها مسـافة بعيدة. ولذلك فمن الأفضل البحث عن عمل مؤقت بالقرب من البيت. أبدى حماسه للعمل في السياحة، وترك كفر الشيخ ليذهب لشرم الشيخ.

من الجيد أن الفندق الذي سـيعمل به يوفر أتوبيسًـا في موقف عبود بالقاهـرة، لسـفر العاملين الجدد والقدامى. قلبه ليـس مطمئنًا على هذه الخطوة رغم تمسكه بها، يحتاج للاستقرار في عمل. وقد سئم من إشفاق القريبين منه، وعدم قدرتهم على مسـاعدته لاسـيما وأنه عاطلًا منذ مدة ليست بالقليلة.

يريد أن يحترم شـهادته الجامعية التي تعب من أجل الحصول عليها، وتعـب أهله أيضًـا معه في مرحلة تعليمه. وحتـى الآن ما زالوا يحملون ثقـلًا على كاهلهـم، وهم يرونه يحاكـي ذاته، وكأنه فقـد عقله. فصارو يخشوا عليه من الاكتئاب والشعور بالفشل، وما يتعاقب عليه من طاقة سلبية، تزيده من تكاسله لا تقدمه.

وفي نفس الوقت، العمل سـيجعله يبتعد عن أحاديث أهله المباشرة والغير مباشرة بشأن جلوسه في البيت عاطلًا. فلعله يجد في ذلك الفندق العمل الذي يسـتقر به حتى يطمئن قلبه، ويستطيع عما قريب من خُطبة البنـت التـي يحبها، فقـد انتظرته كثـيرًا. ورفضت الكثير من العِرسـان

بدون مبررات واضحة حتى أصبح أهلها لا يفهمون سر رفضها سوى أن هناك أحدًا تحبه. ولكن متى سيأتي ليتقدم لابنتهم الكبرى؟ والتي قاربت من الرابعة والعشرين من عمرها.

في صراع دائم مع أفكاره. يأخذ القرار ويندم أو يشعر بأنه تسرع. وكان عليه أن لا يفعل ذلك وحتى لا يتمكن التردد والخوف منه يتجاهل ويظهر جانبًا من اللامبالاة تجاه ردود أفعاله. مردداً بأنه الوحيد من يتحمل عاقبة قرارته، كما يتحمل عاقبة دخوله لكلية لا جدوى منها سوى أنه أحب الدراسة بها. يؤمن سعيد بأن عليه التحرك والسعي، وأن العمل لن يأتي له وهو قابع في البيت .

بعدما تحرك الأتوبيس، وضع الهاند فري خاصته في أذنيه ليستمع لمجموعة من أغانيه المفضلة، محاولًا نسيان كل ما يشغله حتى يصل لشرم الشيخ.

الطريق طويل وهاتفه حتماً ستنفذ بطاريته، وسينعزل عن كل شيء. وتبقي له عتمة الطريق. يكره السفر الذي يستغرق وقتًا طويلًا ليلًا، ولكن ما بيده شيء. كان يجلس بجانبه شابًا يبدو أنه أصغر منه قليلًا، ولكنه لم يفتح معه حديثًا. فوجيء سعيد بنكزة على كتفه من الذي يجلس بجانبه، فأوقف المزيكا التي يسمعها وخلع الهاند فري.

ـ ماذا تريد؟

ـ نسيت أن أشتري زجاجة مياه، ورأيت معك زجاجة، فهل بإمكاني أن أشرب منها؟

ـ بالطبع.

هذا الموقف كان بمثابة بداية التعارف بين سعيد وأسامة، وقد دخلا في وصلة طويلة من الحديث لم تقطعها سوى صوت أحدهم بالأتوبيس.

إجهزوا يا شباب، لكي تحضروا حقائبكم وتنزلوا جميعًا للتفتيش.

للأسف لم يمر أسامة من التفتيش سالمًا. ولا يعلم أحد سببًا لذلك. فحقيبته آمنة، ولكن بطاقة هويته يبدو أنها من تسببت في رجوعه.

تحرك الأتوبيس وترك كل من لم يمروا من نقطة التفتيش الأمنية. عتمة الليل تغزو الطريق. لا شيء تراه سوى الظلمة الكاحلة على الجانبين. وسعيد ينتظر أول استراحة ليشحن بها هاتفه، ويذهب لدورة المياه. السائق قام بتشغيل فيلمًا مصريًا على شاشة صغيرة بالأتوبيس، وسعد الجميع لذلك، ولكن سرعان ما نزلوا لاستراحة .

بعد ذلك قرر سعيد أن يغمض عينيه في محاولة جادة منه بالنوم، رغم أنه يعرف أنه ينام بصعوبة في المواصلات ولكنه سيحاول. نام بالفعل ولكنه قلق مع أول مطب صناعي اصطدم به السائق.

الصداع ينتابه ويشعر بالجوع، والمياه التي بحوزته انتهت، وهاتفه هو الآخر فعلها ونفذت شحنته، وصار وحيدًا تمامًا. في هذه اللحظة تذكر كلمات، والديه وسبب عدم رغبتهم في سفره لشرم. ولكنه تماسك فهو لم يصل بعد .

حتى يرتاح في حياته ويستقر في عمل عليه بالتعب. وهذا ما يؤمن به سعيد. وهو مستعد لبذل أقصى ما لديه ليحقق طموحه الذي سقفه السماء. ومن ثم كان لزامًا عليه بترك غرفته وترك الكسل والرقود على ظهره أغلب الوقت وهاتفه في يده. فالأيام تمضي ولن تعود، وعمره يكبر لا يصغر، وهو في مكانه والعالم يتغير في كل ثانية وعليه بمواكبته. وأهله يريدون أن يفرحوا به ويزوجونه، فهم ليسوا دائمين له.

كل تلك الأفكار وغيرها تدور برأسه، ولا يعلم كيف يتخلص منها سوى بالنوم فهو وسيلة هروبه من عقله، ولا نوم بعد أن استيقظ. إذن فمرحبًا بالأفكار الطاغية والذى عليه بتذهيبها، ووضع أهداف واضحة يسير نحوها في الأيام القادمة.

صب تفكيره في الوظيفة التي سيتحصل عليها في الفندق، يتمني أن يعمل كموظف استقبال، فاللغة الإنجليزية لديه صارت قوية.

بعد ما يقرب من عشر ساعات وصل الأتوبيس في تمام السابعة صباحًا إلى المنطقة السكنية الخاصة بعمال الفندق. وهناك جمع مسئولي

الأمـن بطاقات الهوية من العاملين الجدد. وقاموا بتسـكينهم، ثم طلبوا منهم بعدم التأخر عن موعد الإنترفيو بالفندق. تم تقسيم كل غرفة على ثلاثة أشـخاص، لم يلتفت سـعيد لذلك. فكان في غاية التعب ويريد أن يسـتحم ويشحن هاتفه؛ ليطمئن أهله على وصوله سالمًا، ثم ينال قسطًا من النوم وبعدها يذهب للفندق.

أثنـاء مقابلتـه مـع مسـئول التوظيـف عـرف بـأن فرصـة العمل في الاسـتقبال سـتتطلب منـه إتقانـه للغـة أخـرى «الروسـية». وأغلـب الوظائف الموجودة لا تتناسب معه. إلى جانب أن الوظيفة التي أعجبته، وهي كمقدم طلبات سـتتطلب منه أن يحمل الخمر، ولا يريد العمل في الأمن أو في تنظيف الحدائق. هل بعد أخذه لقرار السـفر والتعب الذي لحق به إلى الآن سيعود لمجرد أن العمل لا يناسبه؟

أنهـى مقابلتـه وقد وافق على العمل بقسـم السرفيس، عاد للسـكن ليرتاح بقية اليوم ويبدأ في العمل من صباح الغد .

بداخلـه غـير راضٍ عـلى الوظيفة التي سـيعمل بها، ولكـن لا يريد العودة لأهله خائبًا فاشلًا، لن يعود حتمًا.

ولكنه لن يعمل بهذا الفندق من الأساس، وسيقضي هذا اليوم وغدًا يفرجهـا الله عليـه. ذهب وتوضيء وصلى الصلـوات التي فاتته، ودعى

الله بأن يقف بجانبه في شدته. اتصل سعيد بأحد أصحابه الذين يقيمون بالقاهرة والذى عمل مسبقًا بشرم الشيخ؛ ليحكى له ما حدث معه، ولحُسن حظه بأن صاحبه أخبره بوجود فرصة عمل جيدة له في القاهرة، وطلب منه الرجوع.

وعاتب سعيد على عدم اتصاله به منذ فترة، وإبلاغه بأنه في حاجة لعمل. هذا الخبر جعله في غاية السعادة، ولكن فرحته لم تدم طويلًا. عندما تذكر بأن شهادة التجنيد والميلاد وبقية أوراقه قد تركها مع مسئول التوظيف. الضيق يتملكه فكأن الفرحة ترفض التواجد بحياته. لا يعلم ماذا فعل ليصبح حاله بهذا السوء، ولكن بعد كل عسر يسر حتمًا سيفرح ولكن عليه بالصبر.

في المساء، اتصلت به أمه وأخبرها بأنه مرتاح في شرم، ولن يعود قبل ٢٣ يومًا، وسوف يتحصل على راتب لا بأس به. لا يكذب بقدر ما لا يريد أن يشغل أهله عليه. وبينما يتصفح في هاتفه على الإنترنت وجد فرصة عمل جيدة في محافظته، فابتسم وتعجب على هذه الفرص التي كثرت عندما سافر. اتصل برقم صاحب العمل، ولكنه تآسف له حيث لم يعد في حاجة لأحد.

في صباح اليوم التالي، جهز حقيبته وركب سعيد أتوبيس الفندق. وهناك استطاع أخذ كافة أوراقه واعتذرعن العمل. ولم يعارضه أحدًا على قراره. وسريعًا ذهب لمحطة الأتوبيس وحجز أتوبيسًا للقاهرة.

واتصـل بصاحبـه يخـبره بقدومه للإقامـة عنده عدة أيـام، حتى يجد مكانًـا بالقـرب من العمـل الذى جلبه لـه. لابد أن يخبر أهلـه بما فعل، ولكنه قرر الاتصال بهم عندما يصل القاهرة. فوجىء سـعيد بأن الذى يجلس بجانبه هو أسـامة، وكانت تلك صدفة غريبة بالنسبة له.. حكى له أسـامة عن ما حدث معه، وأنه كان مجرد اشـتباه لا أكثر، وقد ركب أتوبيسًا آخرًا ودخل شرم ولكن الفندق لم يقبله للعمل به. وعندما ذهب لفندقٍ آخرٍ تم رفضه أيضًا؛ لأنه كان يريد العمل بقسم الاستقبال، وهو لا يستطيع التحدث سوى بالإنجليزية وهذا كان سبب رفضه، ولذلك عاد للبحث عن عمل في القاهرة، وسـيقيم عنـد أحد أصدقائه. بعد ما سـمعه سعيد من أسامة ازداد التفاؤل بداخله لإدراكه بأنه ليس الوحيد من لم تبتسم لهم الحياة. ومن ثم فعليه بعدم اليأس والاستمرار في السعى والتيقن بأنه سيسعد يومًا.